

٣٩ تذكير العباد بآلاء الله ونعمه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
أيها المسلمون: إن نعم الله - عَزَّجَلَّ - كثيرة لا تعد ولا تحصى قال الله:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

فقد عدد الله - عَزَّجَلَّ - في هذه الآيات المباركة نعمه على خلقه وذكر عشر نعم مما أنعم بها على خلقه وهي:

- ١- خلق السموات .
- ٢- وخلق الأرض .
- ٣- وأنزل من السماء ماءً .
- ٤- وسخر لكم الفلك .
- ٥- وسخر لكم الأنهار .
- ٦-٧- وسخر لكم الشمس والقمر دائبين .
- ٨-٩- وسخر لكم الليل والنهار .
- ١٠- وآتاكم من كل ما سألتموه .

فلا إله إلا الله كم من نعمة ، قد أنعم الله بها علينا ، ونحن في غفلة عن ذلك نسأل الله أن يعفو عنا .

عباد الله: ومن النعم العظيمة نعمة السمع والبصر والفؤاد ، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] .

ومن النعم العظيمة نعمة الأمن في الأوطان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ

﴿ نَزَّهَاتُ النَّصْرِ فِي ﴾

إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ، مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾
[البقرة: ١٢٦].

وقال النبي ﷺ: « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده
قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » (١).

ومن نعم الله العظيمة صحة الأبدان ففي صحيح البخاري (٢) عن
ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من
الناس الصحة والفراغ » .

وفي صحيح مسلم (٣) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كان من
دعاء رسول الله ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك
وفجاءة نعمتك وجميع سخطك » .

قال بعض العلماء : الصحة غنى الجسد .

وقال بعضهم : العافية الملك الخفي .

وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا أردت أن تعرف قدر ما أنعم الله عليك
فأغمض عينيك .

ومن نعم الله العظيمة نعمة الطعام والشراب والكساء والهواء ففي
مستدرك الحاكم (٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : دعا رجل من الأنصار
من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعم وغسل يديه - أو قال :
يده - قال : « الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ، من علينا فهدانا وأطعمنا

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٤٦) عن عبيد الله بن محصن الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري برقم (٦٤١٢) .

(٣) مسلم برقم (٢٧٣٩) .

(٤) الحاكم ج١ (٥٤٦) .

وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العري ، وهدى من الضلالة وبصر من العمائة وفضل على كثير من خلق تفضيلاً ، الحمد لله رب العالمين .

وأعظم النعم على الإطلاق نعمة الهداية لهذا الدين العظيم قال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عن أهل الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

قال العلامة ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - ^(١) : والنعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة وهي التي أمرنا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة ، وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

فالله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أعطى عباده من كل ما سألوه من النعم الظاهرة

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية .

﴿ فِي نَهْمَاتِ النَّصْرِ فِي ﴾

والباطنة ومما لم يسألوه ، قال الله - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿ الْمُرْتَدُّونَ أَنْ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

وقال - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

قال طلق بن حبيب - رَحِمَهُ اللَّهُ - : إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين .

لو كل جارحة مني لها لغة تشني عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكري إذ شكرتُ به إليك أبلغ في الإحسان والمنن

عباد الله هناك أسباب كثيرة لبقاء النعم ودوامها:

١- منها تذكر النعم ، قال الله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩] .

وقال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيتِي فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقد بين الله - عَزَّوَجَلَّ - أن الأنبياء ذكروا قومهم بنعم الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوُكُمْ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

وهذا هود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعَيُونِ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) [البقرة: ١٣٢-١٣٥].

وقال لهم: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وقال نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجَثُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

٢- ومنها الشكر لله قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

قال الحسن البصري - رَحِمَهُ اللَّهُ - : إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء ، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً.

﴿نَهَى النَّظَرَ فِي﴾

٣- ومنها أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه ففي الصحيحين ^(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «انظروا إلى من هو من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» .

٤- ومنها أن يستحضر أن الله سائله يوم القيامة عن هذه النعم التي أنعم الله بها عليه هل قام بشكرها أم لا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] .
وقال تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] .

وفي سنن الترمذي ^(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد» .

وفي سنن الترمذي ^(٣) أيضًا عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل ، عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه» .

وفي صحيح مسلم ^(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يقول الله للعبد يوم القيامة: أي فل ، ألم أكرمك وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ، فيقول: بلى قال فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ ، فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقي الثاني فيقول : أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك ، وأسخر لك

(١) البخاري برقم (٦٤٩٠) ومسلم برقم (٢٩٦٣) .

(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٣٥٨) .

(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٧) .

(٤) مسلم برقم (٢٩٦٨) .

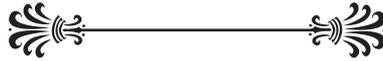
الخييل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ ، فيقول: بلى أي رب ، فيقول: أفظنت أنك ملاقي ؟ ، فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول: هاهنا إذا قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟ ، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه .

والسؤال للمؤمن سؤال تذكير بنعم الله ، لا سؤال توبيخ وتقرير .

ومعنى قوله أي فل : أي فلان .

نسأل الله - عَزَّجَلَّ - أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين وأن يحشرنا في زمرة عباده الصالحين .

والحمد لله رب العالمين .



الخطبة الثانية :

الحمد لله كما أمر والشكر له على ما أنعم وتفضل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن نعم الله تترأ وآلؤه لا تحصى ، أمة الإسلام : ذكرنا فيما سبق أسباب بقاء النعم وهنا نذكر بمشيئة الله أسباب زوالها :

١- المعصية والجحود لنعم الله ففي مُسند أحمد ^(١) عن عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال « إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو يتكلم عن عقوبة المعاصي : ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته . ^(٢)

(١) أحمد برقم (١٧٣١١) والصحيحة برقم (٤١٣) .

(٢) الجواب الكافي ص (١٣٨) .

٢- ومنها تغير النفوس إلى معصية الله ، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكِ بَأْسٌ
اللَّهِ لَمَّ يَكُ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] .

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم ولاتهم
وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن قصور وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم

٣- ومنها الكفر بالله ونعمه ، قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾
[النحل: ١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : و الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الشاعر للمشكور ووجه له واعترافه بنعمته وثنائه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره. (١)

٤- ومنها عدم تصريف النعم في حوائج العباد منهم: قال تعالى ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتُنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنَّكُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَاعْدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَومُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا كُنَّا طَافِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

[القلم: ١٧-٣٣].

وعند الطبراني (٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم.»

وعند الطبراني (٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال.»

٥- ومنها الإعراض عن الله وشرعه: قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

(١) المدارج ج ٢ (٢٣٤).

(٢) المعجم الأوسط (٥١٦٢) وصحيح الترغيب برقم (٢٦١٧).

(٣) المعجم الأوسط (٧٥٢٩) وصحيح الترغيب برقم (٢٦١٨).

٦- ومنها العجب بالنعمة : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴿ [الكهف : ٣٢٢-٤٢].

٧. ومنها الكبر وعدم قبول النصيحة : ﴿ إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ كُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ

﴿نَحْمَدُكَ يَا نَصِيرَ فِي﴾

ءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ
 الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
 وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ
 الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ [القصص: ٧٦-٨٢].

٨- ومنها أكل الربا ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

نسأل الله العلي الأعلى أن يوزعنا شكر نعمه ، ورعاية مننه ، وأن يوفقنا
 لاتباع أنبيائه ورسوله ، إنه أرحم الراحمين .
 اللهم لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا ، في قديم أو حديث ، أو
 سر أو علانية ، أو خاصة أو عامة .
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

